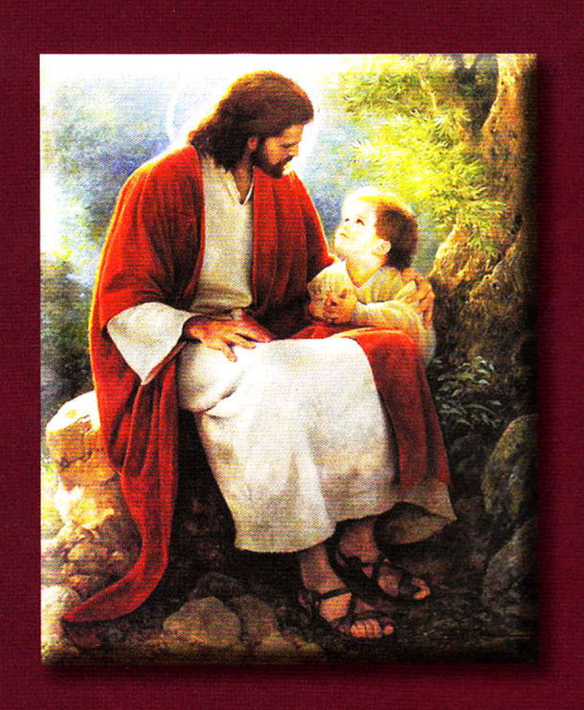
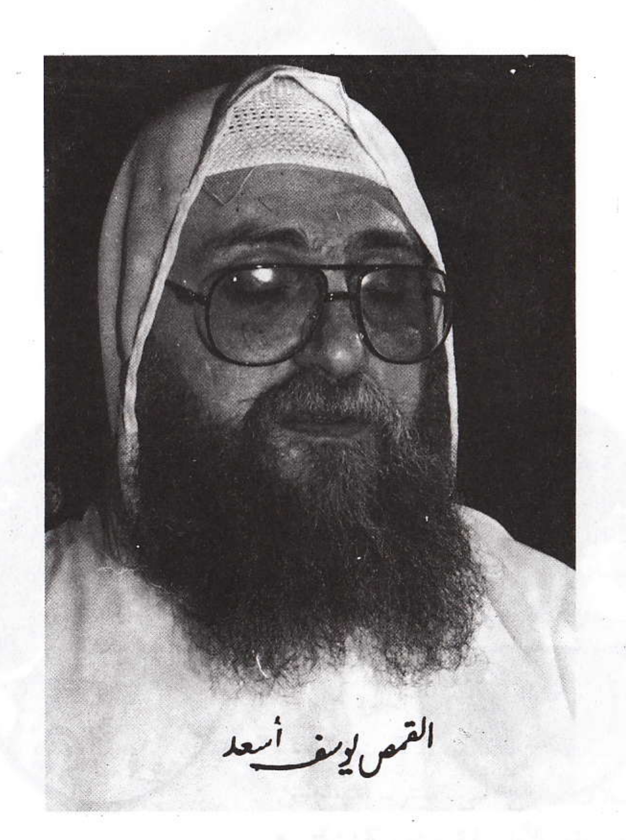
القمص يوسف أسعد





coptic-books.blogspot.com

الجزء الثالث



القمص يوسف أسعد

إِذْ كَانَ يَأْخُذُ حُلَّةَ مَجْدِهِ وَيَلْبَسُ كَمَالَ زِينَتِهِ وَيَصْعَدُ إِلَى الْمَذْبَحِ الْمُقَدَّسِ
كَانَ يَزِيدُ لِبَاسَ الْقُدْسِ بَهَاءً

مقدمة

قديماً كلمنا الله بأنبيائه القديسين معلناً لنا محبته وقبوله لتوبتنا إن نحن رجعنا عن خطايانا، وكما أُرسِل يوحنا المعمدان بأن: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّموَاتِ» (مت ٣ : ٢) هكذا جاء أبونا المحبوب القمص يوسف أسعد ليكون صوتاً صارخاً فى برية العمرانية وسائر الكرازة المرقسية منادياً بالتوبة لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً.

لقد كان شخص ربنا يسوع المسيح هو القدوة لأبينا فى كل خدمته، لذا كانت التوبة هى بدء كرازته ونهايتها.. وإقتفاءاً لآثار آبائنا الرسل المكرمين طلب أبونا يوسف مراراً وتكراراً بل وتوسل إلينا لكى ما نصنع أثماراً تليق بالتوبة، فقد كانت للتوبة مكانة كبيرة فى تعاليمه سواء فى ممارسة سر الاعتراف أو فى الكتابات والعظات الكثيرة التى كتبها وألقاها.

وها هو مرة أخرى يُخرج من كنزه جُدداً وعتقاء إذ أنه فى هذا الاحتفال العاشر لإرتقائه الجسر الذهبى إلى السماء يهدينا مجموعة من كتاباته ـ كان قد أعدها بخط يده ووجدناها فى مكتبته ـ ليحثنا فيها على التوبة «يوميات تائب» استطاع أن يصادق التوبة اليومية فإمتلأ قلبه وفمه صلوات من أجل توبته وتوبة الكثيرين وإمتلأت روحه شبعاً بمعاملات الله الحلوة مع التائبين.

الله الذى أكمل لأبينا جهاده وسعيه الأمين ليكلله بإكليل البر قادر أن يعيننا

ويتوبنا ويكمل لنا زمان غربتنا بسلام ونحن متشفعين بذات الشفاعة القوية المقبولة أمنا العذراء مريم والملائكة والشهداء والقديسين وكل الكنيسة المنتصرة محتمين فى صلوات أبينا وسيدنا البابا شنودة الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا المكرم الأنبا دوماديوس لأجل شفاعاتهم وصلواتهم وطلباتهم عنا نرجوك ياإلهنا الصالح توبنا فنتوب وثبتنا فيك للنفس الأخير لك كل المجد والكرامة من الآن وإلى دهر الدهور آمين.

أبناء القمص يوسف أسعد

٢٠٠٣/٩/٢٤



كلما كنت أقابل أبى الروحى كان يوبخنى على خطية محبوبة لدىّ، جاهد معى بتداريب ووسائل وطرق أشهد أنها كثيرة جداً ولم أطيعه فى واحدة منها.. وكلما رآنى أبى كان بأسلوب مباشر وغير مباشر يحدثنى لعلى أتوب، وبحنانه الذى أشهد أنه حنان عجيب حاول معى لكننى لم أستجيب.. صفعنى مرات بحزم الأبوة صفعات كثيرة وقوية ومفاجئة على وجهى لكننى لم أستجيب أيضاً.. حتى إننى فكرت أن أبحث عن أب اعتراف آخر، بل وصارحته بذلك.

لكن كان هذا الفكر وهذه المصارحة هى القشة التى قسمت ظهر البعير كما يقول المثل.. إذ أنه استقبل الفكر والمصارحة أولاً بضيق وثانياً بمحاولة إثنائى عن الفكر وثالثاً بالرضوخ لرأيى.. وودعته بينما هو يقول لى: «ربنا يستلمك يا ابنى».. وأغلقت الباب وخرجت فرحاً بأننى أسكّت الصوت الذى طالما أهاج علىّ نفسى وضميرى ظاناً أننى تخلّصت مما كان يتعبنى.

وفى العودة إلى منزلى كنت أفكر فى أسماء من أعرفهم من الكهنة لأختار أباً جديداً لا يعرف عن هذه الخطية شئ من بعيد أو قريب.

ونمت طوال الليل مستريحاً راحة غير عادية أننى تخلّصت من هذا الإزعاج المستمر، وفى الصباح كان علىّ أن أخرج مع الأسرة إلى مهمة معينة، وبينما أنا أقود سيارتى الجديدة الممتازة فى الطريق المعتاد غير المزدحم قابلنى أحد الأصدقاء وذكّرنى بالرحلة التى كنت مزمعاً القيام بها معه وبعض الزملاء إلى بورسعيد فطلبت منه مهلة للانتهاء من مهمة الأسرة.. التى حالما أنهيتها رجعت

coptic-books.blogspot.com

لأصدقائى نستقل السيارة، وفى الطريق استلمنى الله فعلاً.. لقد اصطدمت بسيارتى سيارة جيش ظهرت فجأة على الطريق وكانت النتيجة هى وفاة أحد أصدقائى وإصابة اثنين آخرين بجراح بينما خرجت أنا بلا خدش واحد.

انتهت هذه الحادثة مع كل مناداتها لى بالتوبة وأنا مستمر فى رفضى للتوبة، وبعد إصلاح سيارتى كنت فى رحلة بطريق الإسكندرية الصحراوى وفجأة انفجر الإطار الأمامى فاختل توازنها وانقلبت عدة مرات وخرجت منها بكسر فى ذراعى ظل ملازماً لى شهر ونصف مذكراً لى بالتوبة وأنا أرفض أيضاً.

وبعد الشفاء قلت لن أستخدم سيارتى، فرجعت إلى الدراجة.. وبينما أنا فى الطريق إلى عملى تنحرف سيارة ميكروباس نحوى لتصدمنى وأسقط فوق دراجتى مدرجاً فى دمائى، ولم أفيق من غيبوبتى إلا فى المستشفى لأجد هناك جرحاً غائراً جداً فى رقبتى وكأن الله يقول لى ها السكينة سكينتى أضعها على رقبتك للذبح حتى تتوب.

كان الحادث الأول نجاة، والثانى كسر فى الذراع، والثالث ذبح فى الرقبة.. كلها من يد الله الذى قال أبى المحب لى فى آخر لقاء معه أنه يستلمك.

لكن المفاجأة أننى عندما أفقت من الحادث الأخير أول من شاهدته عيناى هو أبى الحقيقى الروحى الذى جاء بزيت يرشمنى ويطلب من الله شفائى.. ساعتها أمسكته بيدى الاثنين وقلت له: استلمنى يا أبى من جديد لأننى لم أفطن أنه «مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ» (عب ١٠ : ٣١).

لقد عرفت لماذا جعل الله الكاهن وكيل سرائره يقضى فى الخطايا، لأنه من

ضعف الإنسان يحكم على الإنسان.. وهذا حنان من الله أن يجعل حكم أبى نافذاً فى السماء وأمامه، وأنه مهما كانت شدة أبى فى علاجى وفى توبتى فهذه أفضل بكثير من جهنم والعقوبات الإلهية.. فمن يستطيع أن يدخل فى المحاكمة معه.

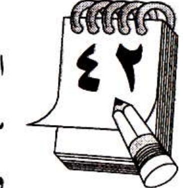
لقد عرفت أن شدة أبى الروحى، وكثرة توبيخه لى كانت أخف بكثير من الحوادث الثلاث وقسوتها الجسدية والنفسية على إنسان مثلى.. سامحنى يارب على كل محاولة للهروب من تأديب أبى الروحى، سامحنى يارب على ما سببت لقلبه المحب من جراح وأثقال لا يستحقها جهاده معى.. سامحنى يارب لأننى حاولت إخفاء عريى بأوراق تين لم تلبث أن سقطت عنى وأخجلتنى ولم تشبعنى.

حقاً يارب إن هذه الخطية مازالت تحاربنى، لكننى أثق بأنه بشدة وتأديب أبى ورجائى فى قدرتك أن تخلصنى منها بل وتعطينى أن أتحول لكى أساعد كل من يسقط فيها أيضاً.



« أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ»
(أم ٢٧: ٦)

coptic-books.blogspot.com



ليس السجن هو سجن الأسوار، لأن الأسوار قد تعيق الحركة لكنها لا تعدم الإنسان الحرّ حريته.. إنما كثيرين سجناء بلا أسوار إذ أن حريتهم صارت مقيدة بسلطان العادات والمكيفات، بدون فنجان قهوة لا يفتح عينيه، بدون كوب شاى لا يمكن بدء العمل، بدون سيجارة لا ينهال الإلهام، بدون كأس خمر لا تكمل الفرحة!!! إلى غير ذلك من عادات النوم والطعام والذبح والتوزيع وغيرها من العادات التى إذا تغيرت اضطرب الإنسان واحتدم غيظه واشتد غضبه لحد القتل أو التدمير.

يارب أعطنى كل يوم أن أتوب عن عادات أمس، فلا أسمح لنفسى بتكرار منتظم لأمور تافهة تعطلنى عن التوبة الحقيقية.

وأعطنى أن أسلّم ليدك كل يوم بكل دقائقه لتدبر لى أنت فيها لقاءً متجدداً غير نمطى وغير واقع تحت سلطان التعود والتكرار.. فأنت النبع الحى المتجدد دائماً والذى كل من يرتوى منك لا يعطش أبداً بفعل وسلطان العادة..

فلاشك أن تسليم الزمن بكل دقائقه بين يديك يمنحنى الحرية من سلطان العادات كما يمنحنى الرؤية المتجددة لوجهك البهى فى أعمال عظمتك ورحمتك مع كل خلائقك لاسيما ضعفى.

العادة الوحيدة التى أرجوك أن تحفظها لى فى بدء العام الجديد هى اعتياد رؤية وجهك فى كل الأحداث ومع كل الأشخاص وفى كل الأوقات لاسيما أزمنة الضيق.

٤٣

كنت فى الخامسة عشر من عمرى عندما طلبت من والدتى ساندوتش بين المذاكرة فابتسمت فى وجهى كعادتها ثم قالت لى تعال نصلى ربنا يبعث لك ساندوتش.

يومها عرفت أن ليس بالمنزل ولا شئ للطعام.. لا خبز، ولا زيت، ولا سمن، ولا أرز، ولا مكرونة، ولا ملح، ولا شئ إطلاقاً.. دخلت المطبخ وجدته نظيفاً تماماً.. وكان أبى يسافر فى مأموريات للعمل خارج مقر إقامتنا لمدة عشرين يوماً فى الشهر ويمكث معنا عشرة أيام.. وفى ذلك اليوم كان والدى فى مأمورية يتبقى على رجوعه إلينا سبعة أيام.. وكانت والدتى إنسانة عزيزة النفس تأبى أن تطلب سلفة من أحد.

فى ذلك اليوم رأيتها تقودنى إلى حجرة الاستقبال حيث ركعت أمامى وبدأت الصلاة الرابعة مساءً واستمرت هكذا تصلى وترنم فى نشاط وروحانية حتى السابعة مساءً.. كل هذا وأنا واقف خلفها أرقب منظرها والجوع فى بطنى حقيقى.

وبعد هذه الساعات، نظرت إلىّ وقالت لى شوية وأنا أجمع ورق الصحف المتوفر فى البيت ثم أنزل أبيعه وأشترى لك الساندوتش الذى تريده.. وبينما هى تبحث عن الصحف كانت ترنم «مين أحن منك ألتجئ إليه وفى ساعة ضيقى أتكل عليه».. لكنها لم تستغرق فى البحث كثيراً، إذ أن كمية الصحف كانت قليلة وواضحة.. وهمّت تلبس حذاؤها لتخرج، وإذ بالباب الذى هى ممسكة به يقرع، لتفتح وتجد أمامها سيدة هى ابنة خالتها حاملة على يديها ثلاث علب ورق.

coptic-books.blogspot.com

وبالأحضان إلتقيا.. وسمعت من الزائرة تقول لها أنا مقصرة فى حقك جداً يا فلانة.. وأنتِ دايماً عاملة الواجب وزيادة معانا ودى حاجة بسيطة للأولاد.

وعندما قامت والدتى تتظاهر بأنها ستصنع لها كوباً من الشاى لم أكن أعرف من أى مصدر ولا من أى مكان ستجد أمى ما تقدم به هذا.. إلا أن الزائرة اعتذرت عن الانتظار لوقت آخر لأن زوجها منتظرها فى سيارة صديق له على أول الشارع.. وانصرفت لأفتح العلب الثلاثة لأجد فى الأولى: جبنة بيضاء، وجبنة رومى، ومرتديلا.. وفى الثانية: تورتة كاملة، وفى الثالثة كيك وبسكويت وعيش فينو ومعهما مبلغ خمسون جنيهاً (كان ذلك فى عام ١٩٥٨م).

ما هذا الكرم والسخاء؟! هذا ما دار فى ذهنى.. لكننى لم أمهل للتفكير فى ذلك لأن الباب قرع مرة أخرى وأسرعت أنا لأفتحه فوجدت أختى الكبرى وزوجها وأولادها الأطفال الثلاثة حضروا لزيارتنا.. وياللعجب عندما سمعت منهم أنهم تركوا منزلهم ليقيموا معنا خلال غياب والدى.. ونزلت والدتى فوراً لتشترى لهم لحوم وطيور لتقدمها لهم خلال إقامتهم طرفنا.

ما هذا الحب العجيب الساتر الذى لأبوة الله وهذا الإيمان العجيب فى أمى.

لقد طلبت ساندوتش لى فقط، ففى خلال ثلاث ساعات كان عندى ثلاثة أنواع من الساندوتشات والحلويات والمال الذى لا يكفى لى وحدى بل ولأسرة كاملة يعرف الله مقدماً حضورها المفاجئ فى بيت الأم المؤمنة بأن الله هو الذى يعولها ويعول أولادها لا مرتب زوجها.

فى بداية دعوة الرب لى للكهنوت تقابلت مع سيدة شابة متزوجة ولها ثلاثة أبناء مثقلة كأية زوجة فى أعباء زوجية كثيرة، لكنها كانت شعلة فى عمل الرحمة.

كانت تقودنى من يدى لأحمل جسد الرب ودمه لعشرات من المسنين الفقراء المقعدين بالأمراض، وكانت ترافق بل تسابق أخت بتول مكرسة فى خدمة الافتقاد وزيارة النساء لدعوتهم للاجتماع والقداس.

وكانت فى هذا كله خادمة روحية لزوجها تقوده للتوبة والاعتراف، وأبناءها تذكرهم بميعاد مدارس الأحد وتدفعهم إليها بكل وسائل التشجيع والمتابعة، وأخوها الوحيد كانت تقودنى لافتقاده فى بلدته البعيدة وتحثنى على الجلوس معه ومحادثته عن الرب يسوع والتوبة.

كانت متزوجة وقلبها نقى مع جيرانها غير المسيحيين قبل المسيحيين.

بتأثر شديد كانت تبكى مرة وهى تقرع باب منزلى فتفتح لها والدتى وعندما تخبرها أننى بالخارج تترك لى ورقة لأصلى لعبد المنعم وفاطمة أولاد جارتها اللذان أصيبا معاً فى حادث حريق، وبعد عودتى للمنزل وجدت الورقة وبعدها بدقائق سمعت طرقة على الباب فكانت هذه المتزوجة تتأكد أن الورقة وصلتنى وترجو منى بإلحاح أن أصلى لأجلهما حتى يشفيا.. أحبتها والدتى فى تلك الساعة حباً عجيباً ظل بينهما حتى رحيلهما للمجد ولم يفصل بينهما من الزمن سوى ثلاثة أيام فقط!

شهد لها زوجها يوم رحيلها بأنه لم يكتشف يوماً تقصيراً واحداً فى واجباتها

coptic-books.blogspot.com

نحوه وبيته، وشهدت لها كنيسة الفقراء المجاهدة بأنها التائبة التى لم يحول الزواج بينها وبين عمل الرحمة المتواتر، وشهد لها ضميرى كمسئول عنها فى الاعتراف بتوبة عميقة ومثابرة فى عمل الرحمة حتى مع المسيئين إليها.

كانت هذه السيدة شاهداً جديداً أن الزواج ليس عائقاً عن التوبة وعمل الرحمة، فالقديسين والعمالقة فى التوبة تتلمذوا أولاً، وقبل معلميهم الروحيين على أمهات متزوجات عشن التوبة بالدموع والرحمة بالجهاد.. كن الفرش الروحى الذى افترشوه لقلوبهم حتى دخله الرب يسوع واستراح فيهم كتائبين وقديسين.



هذه أول ليلة لعيد سيدى يخص حبيبى وإلهى يسوع منذ أن عرفت حبه واقترب بأبوته إلىّ أقضيها بعيداً عن المذبح المقدس. لم يكن لى مكان أصلى فيه، فالكنيسة التى دعانى الرب إلى خدمة شعبها غير مُتاح لى الصلاة فيها، ولم تُقدَم لى دعوة للصلاة فى أى كنيسة أو من أى كاهن.

إنه اختبار جديد أحياه فى عشرتى بالرب، الذى فى مثل هذه الليلة من عشرين قرناً من الزمان «لم يكن له موضع فى المنزل».. أنت السيد وصُنع بك فى ليلة مولدك الهادف إلى خلاص البشرية هكذا، فماذا يفعل بى أنا العبد الشرير والخادم المتهاون الذى يتهوه من أمام عينى الهدف كثيراً؟!

إنه الطبيعى أن يكون لسيدى ومخلصى موضعه فى المذبح وحوله قديسيه وشعبه البسيط المحب ويكون موضعى «خارج المحلة» على صليب المعاناة.

فى مثل هذا اليوم من العام الماضى اقتحم سيدى الأسوار ودخل بمذبحه إلى أولاده المسجونين لأجل اسمه، فى الموضع المحتقر، وتذكرت ليلتها أنه ولد فى المذود مع البهائم من المخلوقات غير العاقلة ومع اثنين فقط من الخليقة العاقلة أحدهما نجار فى حرفته والثانية يتيمة فى وضعها الاجتماعى.

فى المكان المحتقر، ومع خبرة من ليس له مكان فى المنزل.. أرجو أن ترضى ياحبيبى يسوع أن تنقل إلىّ خبرة تواضعك الحقيقى ومذاقة حبك المتجدد فى تذكارات أعيادك.

اذكرنى فى هذا الموضع الآن، وفى هذه الظروف الآن.. وافرح قلبى وامنحنى

coptic-books.blogspot.com

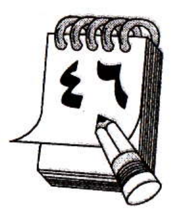
أن أُفرِح قلبك.. برضى صادق يفيض من أعماقى، وببشاشة فى الوجه مع الجميع، وبثقة فى أن أحلى موضع هو الموضع الذى تختاره لى الآن بالقرب من صليبك المحيى.

واذكر كنيستك وشعبك، الراقدين والأحياء معاً، المسيئين والمحبين معاً، البعيدين والمشاركين معاً، الناسين والذاكرين معاً، البخلاء والكرماء معاً، اذكر شعبك كله، فى كل العالم، لأنك أتيت «لِجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لو ٢ : ١٠) وعملك هو مسيح العالم كله.

فرّغ بصرى من حدودية النظر، وفرّغ قلبى من كل أفراح عالمية كاذبة، وأعطنى الآن أن أذوب خجلاً من نفسى، وأنا لى سرير أنام ومنزل أقطن وكراس أكتب وقلم أسجل به.. أذوب خجلاً من نفسى وأنا لى ثوب بل أثواب أستدفأ، ولى مريدين يقرعون بابى.. أذوب خجلاً من هذا التنعم فى يوم لم يكن لك فيه يا حبيبى شيئاً مما لى الآن.. إنى أحدق ببصرى فى شخصك المحب الآن لأرى ابتسامتك وفرحك فأنتعش وأبتسم مثلك وأفرح بشخصك يا مفرّح كل الخليقة.

شكراً لك يا حبيبى أنك أعطيتنى هذه اللحظات معك وحول مذودك.

سلام لكِ يا أمى العذراء يا حبيبتى، سلام لك
أيها الرجل البار يوسف النجار، سلام لكم
أيها الرعاة الساهرون، سلام لكم
أيها المجوس المعاينون عظمة المسيح..
سلام لأطفال بيت لحم القديسين.



كاهن مبارك، يحب شعبه ويتعب لأولاده. كان كلما يرى الأخ.. يحدثه عن أخته أنها مباركة وأن يسمح لها بحضور الكنيسة واجتماعاتها، لأنه كان شكوكاً ومراقباً لها بأسلوب غير طبيعى.

وبينما كانت ابنة هذا الكاهن الشابة تركب إحدى وسائل النقل، فوجئت بامرأة وسط جموع غفيرة من الناس، تصفعها على وجهها بدون كلمة. كانت هذه الابنة جامعية، فوجئت بهذه المعاملة التى لا تتوقعها ولا تستحقها. وتفرست وسط الجموع فى وجه هذه المرأة فتذكرت أنها ترى وجه شبيه بها بالكنيسة، ولما حاولت وسط الزحام أن تسألها عن السبب كانت تلك «فص ملح وذاب» على رأى المثل!!

رجعت هذه الابنة المباركة إلى منزل أبوها خادم الكهنوت تروى له عن الضربية التى دفعتها لأجل المسيح ولأجل كونها ابنة لخادم أمين لا أكثر ولا أقل!!

وظلت الفتاة تصلى من أجل التى صفعتها وتطلب من الرب معرفة السبب، حتى قابلتها صدفة بهيكل سيدات كنيسة أخرى، وجدتها بين صفوف المتناولات فأمسكت بها بينما تلك تحاول الهرب.. وقالت لها: لا أعاتبك عن الصفعة وسط الناس، ولكن من أنتِ؟ ولماذا صنعتِ بى هكذا؟.. ففوجئت بردها أن أبوها هو الذى يُحرّض أخاها أن يمنعها من الخروج للكنيسة!!! ظُلم الأب، وجاء ظلم الابنة فى الطريق!!

آه يارب.. لقد ذهب الكاهن إلى هذه المرأة فى منزلها وواجهها بأخوها

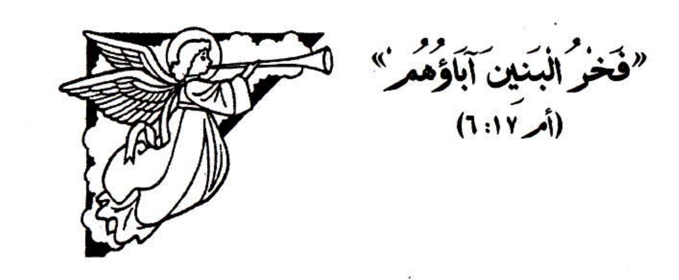
وعرفت الحقيقة.. ولكن بقى بعد هذا الضربية التى دفعتها ابنة مظلومة، لكاهن ظُلِم! ما أقسى ما يتعرض له أبناء الكهنة من نقد ومن تجريح ومن إهانة ومن تشويه وربما من محاولات إكراههم فى المسيح والكنيسة!

إن أولاد الكهنة ليسوا كهنة، إنما أولاداً عاديون يحتاجون إلى ما يحتاج إليه أى ابن عادى للكنيسة من رعاية وحب واهتمام.. إن كثيرين من أبناء الكهنة يحتاجون إلى الحب من الكنيسة ليقبلوا حب الرب يسوع ويعيشوا التوبة والجهاد الروحى.

إننى أضع بين يديك يا أبى السماوى كل أولادك أبناء وبنات الكهنة لكى لا تتعطل توبتهم نتيجة لانتسابهم فى البنوة للكهنة.

يارب ساعدنى أن أكون خادماً لتوبة أولاد الكهنة وبناتهم.. وأحفظ فى الكنيسة روح الأبوة الحانية التى تضع أولاد وبنات الكهنة فى رأس قائمة أولادها المجاهدين فى التوبة.

وكافئ يارب كل من يتعب فى خدمة توبة عائلات الكهنة وخلاصها.. آمين.



فى خلال رحلة لمدينة بورسعيد، جلست فى مكان هادئ، وطلبت شرب فنجان شاى فلما أتى به حامله وضع لى سكر وشاى وكوب ماء.

وبينما أتناول الفنجان وجدت قطة تصعد بهدوء للترابيزة وتقترب بفمها ولسانها من كوب الماء. وابتدأت تلعق بلسانها فى كوب الماء. كانت عطشانة للماء واستمرت تشرب حتى قارب نصف «شوب» الماء الكبير أن ينتهى.

رأيت ذلك فابتسمت وقلت لها أهلاً وسهلاً «على مهلك».. ظلّت تشرب وتنظر إلىّ، إلى أن رأى ذلك اثنان كانا بجوارى فابتسمنا جميعاً معاً. لكن أحد الاثنين فكّر بإنسانية أن يملأ الكوب الذى بدأ يتناقص بكوب ماء كان بيده.. ولما هم بالوقوف تحذرت القطة، ولما اقترب ليزيد لها الماء ويقلل من عنائها فى إحناء الرقبة داخل الكوب، دخلها الخوف من طبيعة الإنسان الذى اعتادت أن يقابلها بالقساوة، فهربت مذعورة بينما تعجب حامل كوب الماء كيف أنه يفكّر خيراً ويقدم خيراً فيستقبل خيره بالذعر والرفض والفرار.

ساعتها تذكرت طبيعة الله تعالى المملوءة خيراً، والكلية الحنان والرأفة، كم تُقدَم لنا ونحن نهرب ونرفض ونخاف.

إن الأمر كان يستحق كاميرا متحركة للتصوير الدقيق عن الطبيعة البشرية المذعورة والتى تهرب من عطايا الله الخيِّرة.. لأنها لم تعتاد العشرة مع الطبيعة الإلهية التى توجد الألفة والمودة مهما كانت الظروف والأحداث واستقبال كل

coptic-books.blogspot.com

شئ بتسليم ناضج هادئ للذى لا يمكن أن يقدم لنا إلا خيراً.

إنه مجرد حدث عابر، لكنه كان لى درس كبير من حيوان أقحم الله وجوده علىّ لحظات لكى أتعلم أن أقترب لله وأعاشره وأجيد التسليم الكامل لأبوته.. ولا أفر أمام خيراته المقدمة لى مهما كان طبعى البشرى الضعيف فى فهم مقاصد الله السارة الكاملة المرضية دائماً.

« لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ »

(إش ٤١: ١٠)

٤٨

فى هدوء الليل وسكون البرية أعترف لك يارب بأننى سهل الإثارة.

عاطفتى سرعان ما تنفعل بالحق أو بالباطل نتيجة إثارة مقصودة أو غير مقصودة من الغير تخرجنى عن طورى وتدفعنى بعيداً عن هدوئى.. هذا الذى من أجله طلبتك فى هدوء الليل كى من خلاله تمنحنى هدوء القلب وراحة الفكر كى يستقرا عندك وفيك.

لقد أضعت وقتاً بل عمراً فى ما لا يليق بسبب سهولة الإثارة، لكننى آتيك مع نهاية يوم طالباً مع صاحب الساعة الحادية عشر «اذكرنى يارب فى هدوء الليل بهدوء قلبى» فإننى لا أسمع الآن سوى صوت هذا القلم مع «خروشة» هذه الورقة وأنا أناديك من خلالها لكى لا يُسمَع فى قلبى سوى صوت أنامل روحك القدوس وهى تعزف على أوتاره لحن تسبحة جديدة وتكتب على رقائقه بدم صليبك طهراً ونقاوة تؤهل لرؤياك المفرحة.

أفرغ بين يديك ضجيج رغباتى وزئير شهواتى وتفاهة طلباتى.. ولى رغبة واحدة وشهوة واحدة وطلبة واحدة أن تمنحنى الهدوء القلبى والجسدى، وإن خانتنى طبيعتى المنقسمة فىّ وحرمتنى هدوء القلب الجوانى فعلى الأقل امنحنى هدوء الجسد الظاهرى الذى يُلجم اللسان ويضبط التصرف.

يامن قلت «بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ» (إش ٣٠: ١٥) أطلب إلى مراحمك أنا الضعيف قوة الهدوء والسكون.

●●●

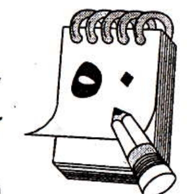
coptic-books.blogspot.com

سألنى أحدهم والدموع ترقرق فى عينيه: «لماذا أفرج عن..... أولاً؟».

ووجدت فى ذاكرتى من ثنايا التاريخ حادثة زيارة أحد الأمراء لفرنسا، كان فى برنامج الحفاوة به زيارة الليمان الرئيسى المخصص للمحكوم عليهم بالإعدام. ومبالغة فى الحفاوة به طلب منه قائد السجن اختيار أحد المحكوم عليهم بالإعدام للإفراج عنه.

كانت مفاجأة للأمير، الذى كان حكيماً عندما مر على سجين سجين.. فسأل أحدهم: ماذا أوصلك إلى هذه الزنزانة؟ فرد عليه: إنه الظلم الذى لم أستطع تبرئة نفسى منه.. وسأل ثانٍ وثالث ورابع.. حتى وصل لواحد منهم كان رده عليه: «إنى الوحيد الشرير وسط هؤلاء، أنا الوحيد الذى أستحق الإعدام لأننى بعدلٍ جوزيت»! فما كان من الأمير إلا أن وضع يده على كتفه حانياً وقال له: أيها الشرير جداً من الظلم أن تبقى مع هؤلاء الأبرياء!! ثم نظر إلى قائد السجن وقال له: رجائى أن يطلق سراح هذا لأنه اعترف أنه مستحق للعقاب.. فكان الوحيد الذى فلت من الإعدام!

كان هذا الحدث التاريخى هو الرد الذى أجبت به سائلى، ثم تذكرت قول الكتاب المقدس: «لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا» (١كو ١١: ٣١). وقول الآباء المختبرين: إن نحن أدنا أنفسنا أبرأنا الله حتى لو أداننا الناس.. ومن يبرأه الله لا يستطيع إنسان أن يدينه حتى لو أُلصقت به تهم الدنيا ولحقه أذية الخلق.. لكن إن بررنا نحن أنفسنا أداننا الله والناس.



كاهن دخل بيته ليجد ابنه الصغير فى حمىّ ودرجة حرارته مرتفعة بلغت ٤٠ْم.. فاتصل بأحد الأطباء الذى حالما كشف على الابن وجد أن عنده حُمّى تيفود وكتب له روشتة دواء سلمتها زوجة الكاهن لأبونا لكى يحضر الدواء للابن.. ووضع الكاهن يده فى جيبه فلم يجد فيه مليماً واحداً (حدث ذلك عام ١٩٧٣م) فبحث فى الدولاب والمكتب لعل مبلغاً من المال قد نساه.. بلا جدوى.

وكان ذلك فى يوم كان عليه خدمة وعظ فى مكان يبعد عن منزله ١٨ كيلو.. وكانت سيارته الصغيرة الواقفة تحت منزله عداد البنزين فيها معلِن فراغ الوقود تماماً وما بها يكفى بالكاد الوصول إلى أقرب محطة بنزين على بعد ١٠٠ متر من المنزل.

وعرف الكاهن طريقه للرب، إذ دخل مخدعه وأغلق بابه وهو لابس ثياب الخروج.. يقول للرب ها أنا أنزل خدمتك وأعرف أنك تدبر لى الوسيلة لأقدم كلامك لشعبك المنتظر.. لكن بين يديك أترك ابنى المحتاج لا للدواء المكتوب فى الروشتة التى بين يدى الآن إنما إلى أبوتك القادرة الشافية.

ونزل الكاهن مع صوت زوجته التى تذكره بدواء الابن المريض.. وكان قد قرر أن يقود سيارته إلى محطة البنزين ليملأ وعائها ويعد صاحبها بالسداد عند العودة.. لكنه لم يفعل هذا لأنه عندما هم بركوب سيارته وجد خطاباً ملقى على المقعد المجاور لمقعده ألقاه أحد من الفتحة الصغيرة التى يتركها الكاهن فى

coptic-books.blogspot.com

زجاج السيارة مفتوحة لتهوية السيارة كالعادة.. كان الخطاب به صورة للرب يسوع بلا أى كلام أو كتابة ومعها عشرون جنيهاً.. ذهب بفرح يملأ بنزين سيارته للخدمة، ثم مرّ على أجزخانة قريبة ليشترى دواء الابن ويتركه فى المنزل.. وظل يقود السيارة وهو يرنم بفرح لذاك الذى قال له «حينما كنت معك هل أعوزك شئ؟!».

تم هذا كله ولم تعرف الزوجة ولا إنساناً بأن رصيد الإيمان فى حياة إنجيلية قادر أن يسد كل احتياجات الإنسان بل الإنسانية بأسرها.

"الإيمان لا يعتمد على الإمكانيات أو الأحداث لكنه يعتمد على شخص الرب يسوع نفسه، فأضعه بينى وبين إمكانياتى وبينى وبين أحداثى اليومية.. فسأجده يعطينى عين جديدة أرى بها أشياء لا يراها أحد من حولى"

أصابنى الملل فى القداس الإلهى، فحوربت أن أخرج من الكنيسة أثناء القداس ونفذت ذلك فعلاً.. وحالما خرجت شعرت أن كابوساً قد استرحت منه.

وبعد أيام أصابنى الملل فى الصوم فقلت: ما هذه التفاهة؟ تغيير الطعام هو الصوم فى نظرى! فأفطرت يوم الجمعة ثم الأربعاء التالى.

ثم بعد أسابيع أصابت آفة الملل الحب فى علاقاتى، فقلت لنفسى: الناس وحشة وأنا أضعت كثيراً فى معاناة بسبب الحب.. الحدودية تكفى.. وبعد شهور وجدت هذه الآفة وقد جعلت منى إنساناً آخر تماماً.

وظللت على هذا الحال سنة ونصف.. إلى أن تقابلت مع إنسان شاءت الظروف أن تحرمه من حضور القداس، فرأيته يأخذ من يدى القربانة يقبّلها بشدة ويضعها فوق رأسه ويفرح بها كأنه «لقى لقية»!

وفى ذات الأسبوع تلاقيت مع امرأة بالمستشفى تعالج من شهور وتبكى، فلما دنوت منها أخفف عنها وسألتها هل هناك فى جسدك وجع؟ فقالت لا بل فى نفسى وقلبى! فقلت لها لماذا؟ فقالت لأننى محرومة من الصوم منذ أن رقدت على السرير!

ولما خرجت من المستشفى تقابلت مع صديق أخذنى لزيارته فوجدت فى منزله أحد أقاربه يحكى عن ابنه الذى قاطعه بسبب سوء فهم.. كيف أنه وهو الأب ذهب إليه فى منزله ولما لاقاه صنع له ميطانية ثم قبّل يديه وقال له: «سامحنى يا ابنى».

coptic-books.blogspot.com

لا أعرف لماذا فى أسبوع واحد تقابلت مع هذه الأمور، لكننى عرفت عندما دخلت إلى أعماق قلبى وتذكرت أن النِعم التى معى محروم منها كثيرين.. وهذا وحده كاف ليطرد منى كل ملل وزهقان يتسرب إلى جهادى الروحى.

من ساعتها وكل ليلة أمسك ورقة وقلم وأدون النِعم اليومية التى أعطاها الرب لى فوجدتنى الآن أكتب نِعم محروم منها كثيرين.. مثل الهواء، والماء، والثياب، والنور، والكتابة.. فكثيرين الآن يعيشون فى غرف الإنعاش يحتاجون لنسمة أوكسجين تقدم لهم صناعياً وربما لا يجدونها فيفقدون الحياة، وكثيرين الآن يُحرَمون من الماء البسيط بسبب الجفاف، وغيرهم تلحفهم الحرارة الحارقة والثلوج الكثيفة يواجهونها بأجسام عارية وثياب رثة، وغيرهم محرومون من نور النهار ونور البصر والبصيرة، وغيرهم لا يجدون قلماً وورقة للكتابة بل ويمنعون من استخدامها.

ذكرت ذلك فقط فدب فى جهادى مثابرة جديدة، ونفضت عنى الملل الذى يفقدنى حيويتى فى أى عمل روحى.



ما أضيق عقلى، وأنا أنظر للأمور المعاكسة والأحداث غير المريحة والظروف التى لا تتفق مع هواى.. أنظر لها كأنها ضدى أو ليست خادمة لأبديتى وتوبتى فى غربتى.

نعم، ما أضيق عقلى وأنا أرى من مخاوف وغيرة وتحزب وضياع.. قيود ومهانة ومحاولات للتحطيم.. أرى ذلك كأنه غريب على المسيح والمسيحى أو كأنه مستحدث للكنيسة وللكنسيين.

وما ساعدنى على اكتشاف ذلك الساعة التى بيدى.. أراها أمامى تسير فى اتجاه واحد منتظم تحقق لى ضبط مواعيدى وتزكية التدقيق فى عامل الوقت.. وسرعان ما جاءتنى فكرة أن أفتح الساعة من خلف.. وفعلاً خلعتها من معصمى، وفتحتها لأرى بداخلها تركيبة مختلفة من تروس ويايات ومسامير وأحجار.. بعضها يتحرك من الشمال لليمين وبعضها من اليمين لليسار.. بعضها كبير والبعض الآخر صغير.. بعضها فى أسفل والبعض الآخر فى القمة.. ولو نظرت إلى كل مكون على حدة لظننت أنها تعمل متضادة بغير انتباه لحقيقة هامة، وأن هذا التضاد يعمل بترابط عجيب ليحقق وحدة الزمن وبالتالى سير عقارب الساعة سيراً منتظماً نحو تحقيق هدف إعلان التوقيت وخدمتى.

كانت هذه اللحظة اكتشاف مختبر، أكد لى أن كل ما أراه بعينى يعمل ضدى هو بعين الإيمان الذى يضبط هدفه للأبدية خادم لا معوق، والذى أراه يهدّ فى عضدى، ويهزم نضارة جسدى هو بعينه الذى يبنى داخلى ويزيد شبوبية روحى الحبيسة المُحبة المجاهدة لأجل المسيح.. والذى يسقينى الآن مرائر هو بعينه

الذى يفيض فى داخلى ينبوع سرائر فى عشرة ذاك الذى من أجله تجرع المر ألوف وربوات.. النفوس الصادقة الأمينة للصليب.. والذى يلهب ظهرى الآن بخيانات ومؤامرات هو بعينه الذى يمنح نفسى القليلة الصبر تدرب فى الاحتمال لكى تكون فى اليوم المختار أكثر إثماراً وأكبر قدرة على فهم الطباع والتعامل مع الأمزجة والقيادة بين معوقين.

نعم تأكدت من قول الرسول فى الكتاب المقدس: «كُلُّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رو ٨ : ٢٨).

تأكدت من هذا، لكن لازلت أعانى من الضد والإهانة والضعف الجسدى والمر القاطر والجلد الموجع.. مازلت أصرخ من أنين هذا مقداره، وصراخى أحياناً يغطى علىّ نظرى بالرجاء لما تأكدت منه.

هذه المعاناة وهذا الصراخ يحلو لى أن أسكبه بين يدى الذى فى كل ضيقى يتضايق والذى قال لى ولكل من مثلى «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت ١١ : ٢٨).. أسكبه سكيباً أمام الذى فى كل شئ كان مُجرَّب مثلنا بلا خطية.. أسكبه أمامه مع داود البار «أَبُثُّ لَدَيْهِ ضِيقِي عِنْدَ فَنَاءِ رُوحِي مِنِّي».. أسكبه لكى يأخذ ما فيه من فشل وقلة صبر وعدم احتمال وشفقة على الذات ويذكرنى كل دقيقة بالساعة التى لا يمكنها أن تقدّم ميقاتاً سليماً ما لم يعمل بداخلها مئات من المتضادات والمتناقضات.

من فضلك ياربى يسوع امنحنى هذه الذاكرة غير الناسية لقدرتك العجيبة على تحويل كل الأمور المعاكسة والأحداث غير المريحة إلى خير حقيقى

وتعزيات جعلت صاحبها فى خلفة أول أولاده يسميه منسّى قائلاً: «لأَنَّ اللهَ أَنْسَانِي كُلَّ تَعَبِي» (تك ٤١ : ٥١).

من فضلك ياحبيبى الذى لا تدعنى فى تجربة فوق احتمالى بدون منفذ ورجاء، اسندنى فأتذكر عملك العجيب فى تحويل كل ما يؤلمنى الآن إلى شفاء لكل أوجاعى وتعويض لكل خساراتى واضرام طاقة حب أكثر فى كل أعمالى.

يامنظم الكون كله، بكل ما فيه من متناقضات، وقد أعطيت العقل البشرى أن ينظم التوقيت مستخدماً المتناقضات.. نظِّم كيانى النفسى والجسدى والروحى مهما كانت المتناقضات بينهما لكى لا أعاق عن ضبط حياتى وسلوكى حتى تظهر صورتك البهية فى نشاطى أو خمولى، فى صحتى أو مرضى، فى حريتى أو قيودى، فى بهجتى واكتئابى، فى سكونى واضطرابى، فى وسط شعبك أو فى وحدتى.. نعم يامنظم الكون كله امنحنى أن أباركك كل وقت مهما كان موقف العالم والناس والظروف معاكساً لى ولأهدافى فى حبك.

سامحنى يارب، لأنى أتضايق مما يعاكسنى.. وساعدنى لكى أشكرك فى كل ما يضايقنى، فليست ذبيحة تفرح قلبك قدر ذبيحة شكر فى زمن ضيق..

أشكرك.. أشكرك.. أشكرك يامنظم الكون كله ومنظمى.



أعطنى يا مخلصى
أن أعتبر عذابك كنزى
وإكليل الشوك مجدى
وأوجاعك تنعمى، ومرارتك حلاوتى
ودمك حياتى، ومحبتك فخرى وشكرى
(قسمة الابن)

coptic-books.blogspot.com

٥٣

كاهن طلبت منه أخت مكرسة لحالة من حالات الاحتياج الضرورى مبلغ مائتان جنيهاً.. وأفرغ الكاهن على منضدة أمامها كل ما فى جيوبه ولم يجد بها سوى ١٤ قرشاً.. وابتسم فى وجهها وقال لها: «ربنا اللى أنا بأخدمه ملك غنى، مش فقير مثلى.. وسيرسل الذى تطلبينه».. واستدارت للانصراف.

فى هذه الأثناء كان باب الكاهن يقرع، بينما هو قد أبلغ معاونوه أنه معتذر عن أى مقابلات حتى يتفرغ للانتهاء من تحضير ضرورى مطلوب لنفس اليوم.. لكن القارع ألحّ فى طلب لقاء الكاهن.. الذى لما سمع إلحاحه طلب إلى معاونوه السماح له بلقائه.. فقال له بلا مقدمات أنا أعرف وقتك وجهدك لكن هذا العطاء لا أستطيع أن أبقيه عندى بعد الآن وأرجو من قدسك توصيله لحالة من حالات الاحتياج الضرورى.

ساعتها طلب إحضار الأخت المكرسة التى كانت لاتزال على السلالم فقال لها حينما اندهشت: أنتِ عايزة كام؟ قالت له ٢٠٠ جنيه. فعاود السؤال: من أجل ماذا؟ فقالت له فى استغراب من أجل كذا.. فقال لها خذى من عند الملك الغنى الذى أخدمه.. وفتحت الظرف لتجد فيه المبلغ المطلوب تماماً.

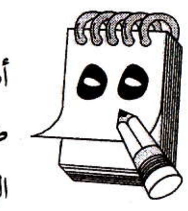
خرجت، وظل الكاهن فرحاً بالذى لا يخزى منتظروه بالإيمان.



٥٤

جاءتنى اليوم فكرة أن أغير النظام الروحى الذى وضعه لى أبى الروحى لاسيما فى محاسبة نفسى قبل النوم على ضوء كلام ربنا فى الموعظة على الجبل.. كانت وجهة نظرى أن «الراحة» ولو ليوم واحد من هذا البرنامج المكرر قد يتيح لى الرجوع بنشاط أكثر.

وقررت فعلاً، ونفذت قرارى.. وقلت أقرأ مجلة «....» غير الروحية لعلى أجد متعة أكثر.. فوجدت فى هذه المجلة ورقة من كتاب تاريخ مقطوعة، فدفعنى الفضول إلى قراءتها.. كانت تحوى حديث عن حكيم يونانى تقدمت به الأيام وهو يزداد غنى، اجتمع حوله شباب مدينته يسألونه النصيحة ليكونوا مثله أغنياء فى الحكمة والمال. فقال لهم: «فى أيام السنة يوجد يوم واحد من يعمل فيه باجتهاد طوال اليوم نال الحكمة والمال، هذا اليوم قالت لى عنه جدتى لكننى نسيته، فاضطررت أن أعتبر كل يوم هو هذا اليوم خلال سنة كاملة لأنه حتماً سيكون اليوم الذى قالت لى جدتى عنه بين أيامها. ولما ابتدأت السنة الأولى وجدت لذة قادتنى لسنة ثانية وثالثة وحتى هذه اللحظة!».. أخذت هذه الورقة، وتركت المجلة، قرأتها كثيراً وتذكرت أن يوم الوفاة الذى ينتظرنى هو هذا اليوم السعيد، ولابد أن أجاهد بأمانة كل يوم لأجل توبتى لأن هذا اليوم معروف لدى الله لكنه مجهول لى لكى أنال الملكوت فى النهاية.. ففى الحال رجعت عن قرارى السابق، وقلت أحاسب نفسى الآن وكل يوم وأجاهد لأجل خلاص نفسى الآن وكل يوم.. ومهما ضاعت منى اللذة وبقى لى الملل والتكرار فإن الاجتهاد كل يوم وحتى آخر لحظة فى الحياة هو المفتاح للأبدية.



سقطت فى خطية الآن، لكن الوخز فى داخلى جعلنى أصرخ يارب أريد أن أتوب.. كان هذا الصوت الخافت داخلى ضعيف جداً وسط بِرْكَة اللذة التى حوطتنى ووسط أتون الرغبة المتكررة لمعاودة السقوط.

لكننى إخترت أن أطرح بين يديك هذه النية.. نية التوبة. لأننى متشوق فعلاً أن أبدأ وليس لى إنسان يأخذ بيدى، وليس لى إمكانيات شخصية أو عائلية تساعدنى للتوبة.

أعرف يارب أنك لا تحتقر النية، وأعرف أنك تستطيع أن تمسك بها وبواسطة جموع من محبى التوبة قديسيك فى السماء مع ملائكتك الأطهار تقدم لى كل عون «أنت الذى خدمت لى الخلاص لما خالفت ناموسك».

الناس قد ترى فى النية المجردة، نوعاً من العجز أو عدم الرغبة فى السلوك الروحى.. لكننى موقن يارب أنك تكرم النية أيضاً.

ألم تكرم نية الأم المسافرة بوليدها من أنطاكية للإسكندرية لتعمده لكن هياج الأمواج والرياح جعلها تخاف فقد ابنها جواز المرور للسماء أى المعمودية وصلّبت على وجهه بنقطة دم من ثديها.. ألم تكرم هذه النية عندما وصلت الأم سالمة للإسكندرية وقدمت ابنها للمعمودية فحولت مياهها إلى ثلج لتمنع عماده مرة أخرى.. لقد كانت النية الصادقة فى قلب الأم مع نقطة الدم المقدمة منها مكرّمة فى عينيك فاعتبرتها معمودية لا تعاد!

إننى أتذكر الملك المنتصر الذى أحب أن يبنى كنيسة على نفقته الخاصة

فجمع شعب مدينته وأعلمهم بفكرته، ثم أوصاهم أن كل من يقدم شيئاً يسجل اسمه فى سجل خاص لكى يعطيه الملك أجرته من ماله الخاص.. وكان ما أراد للملك، فهل للملوك كلمة تُرَد؟! وحدّد مع الأسقف ميعاداً لتدشينها وافتتاحها، وأرسل مع رسول لوحة رخامية كبيرة مكتوب عليها «فى يوم.... تم افتتاح كنيسة.... التى بناها الملك.... على نفقته الخاصة». وتم تثبيت اللوحة فى مدخل الكنيسة وفى يوم التدشين وقبل ساعات من وصول الملك وجدوا اللوحة الموجودة قد تغيرت وكتب عليها مكان اسمه «.... التى بنتها الأرملة....» فاضطرب الجميع وبحثوا عن اللوحة المفقودة فلم يجدوها ولم يجدوا أى أثر على الحائط لاستبدالها بأخرى.. وفى سرعة البرق أحضروا لوحة أخرى مكتوب عليها اسم الملك وثبتوها ثانية.. وكانت المفاجأة أنه لحظة وصول الملك دعوه ليزيح الستار عن اللوحة المكتوب عليها اسمه فأزاحها فوجد مكتوباً عليها «.... التى بنتها الأرملة ....» فاندهش، وظهرت علامات الغرابة على الجميع وقصوا عليه ما حدث.. فأمر باستدعاء هذه الأرملة من أطراف المدينة بينما دخل موكبه إلى الكنيسة.. فلما أحضروها له ولم تكن تعرف ما حدث، سألها الملك: ماذا قدمت فى بناء الكنيسة ولم يسجل كما أمرت.. فاضطربت الأرملة، فهدأها الملك وقال لها لا تخافى، إننى أريد تسجيل كل ما قُدِّم فقط ولن أعاقبك.. فظهرت علامات الخجل على وجه الأرملة وهى تقول للملك: عبدتك لا تملك شيئاً تقدمه، أعيش وحدى فى كوخ خارج المدينة، وأخرج ألتقط الحطب من البرية ثم أبيعه لمن يحتاجه كوقود وآكل بثمن الحطب يوماً بيوم.. لكننى رأيت العربات الخاصة بجلالتك تحمل الحجارة والرمل للكنيسة،

coptic-books.blogspot.com

ووقفت الخيول لتستريح أمام الكوخ الذى أسكنه.. فلما رأيت الخيول تلهث من حرارة الجو ملأت جرة الفخار بالماء واقتربت أروى ظمأ الخيول.. صدقنى ياجلالة الملك لم أفعل غير ذلك، ووجدت أنه عمل لا يستحق التسجيل أو نوال الأجرة من جلالتك عنه.. لقد كنت مشتاقة أن أقدم لبناء بيت الله شيئاً ولما لم أجد ما أقدمه حاولت تقديم شربة ماء للخيول!» .. فلما سمع الملك كلام الأرملة سقط على وجهه للأرض فى الكنيسة.

أتذكر نية هذه الأرملة وتشوقها للعطاء جعلك لا تحتقرها بل تكرمها، فأقدم لك الآن نية حقيقية للتوبة ولست أملك غير أن أقدم لك هذه الميطانية ولو بجسد غير خاشع.. نعم أقدم لك هذا الجسد ملتصقاً بالتراب مع نيتى التى تراها أنت يا فاحص القلوب.. سامحنى يارب وتوبنى.



٥٦

الوجود ورب الوجود... إعلان لحب بلا حدود..

المنتج الواحد من صنف واحد يعلن عن شركة واحدة. التى يكون لها حق توزيع الصنف وقتما تشاء.

وجود إنسان له مكررات بألوف ألوف البلايين، ووجود إنسان معدل أى امرأة لها مكررات بألوف ألوف البلايين.

ووجود حيوان له مكررات بألوف ألوف البلايين.

ووجود نباتات وأشجار ومزروعات مكررة بألوف ألوف البلايين.

هذه الموجودات بهذه التكرارات تعلن عن خالق واحد أوجدها.

ولأنه خالق لا صانع، جعل لكل من هذه الموجودات فرادة شخصية جداً.. بصمة فريدة.. رائحة مميزة.

ولأنه خالق لا صانع، جعل لكل شخصية فريدة جمال يكمن فى المثال لا فى التمثال.. فالصانع يكرر للإنسان تمثال بعرق وجهد ومعاناة قد تدوم سنوات.. يصنع ذلك لكى يكون التمثال أقرب شبه لصاحبه.. ومع ذلك عندما يوضع التمثال بجوار المثال يظهر مع إتقان الصانع للتمثال جمال الخالق فى المثال.. لأن الفارق بين المثال والتمثال يكمن فى الروح النشيطة التى تجعل للمخلوق بيد الله جمال خاص يعلن عن أن الوجود كله سره فى الروح لا فى الموجود.

والروح التى يضعها الله فى مخلوقاته هى روح منه، لتعلن عن أن الله روح.

وإن كان لكل مخلوق مثال وجمال.. فإنه عبر التسلسل الوجودى

coptic-books.blogspot.com

للموجودات يشبه بلمبات متتابعة فى إعلان ضوئى.. تتابع الإضاءة والإطفاء يعلن بدء رسالة ونهاية رسالة.. لكنه يعلن فى مجموع التتابعات بالاسترسال أو الاستنزال بأن هناك وراء الوجود خالق واحد هو الله.

الله يعلن عن ذاته من خلال الوجود فى كل وجود.

ومهمة الإعلان، هى توليد الإيمان فى المشاهد لكى يدخل إلى خبرة.

وهكذا فإن الوجود كله إعلان عن الله هدفه أن يقدم الإنسان بإيمان إلى خبرة الحب الإلهى.. فخبرة الحب الإلهى فى تذوقها تعطى للإعلان قوة وضاءّة أكبر.. وتعطى للمختبر جمالاً أعمق وأكثر انتشاراً.

ووجود الاثنينية أو التعددية هو إعلان أيضاً عن وحدة الله الذى لا سواه.

فالإنسان الواحد، فيه عينين وحاجبين وشفتين وفكين وأذنين ويدين وشفرين وخصيتين ورجلين.. لكن هذه الاثنينية تعبر عنها عقل واحد، أى فكر واحد لشخص واحد، له قلب واحد أى حب واحد يهضم كل شئ بمعدة واحدة أى بإيمان واحد.. يعبر عن كل شئ بلسان واحد أى بنطق واحد.. بروحه القدوس.

الوجود، فى كل تعدده يعلن عن رب واحد، إله واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة.

والنظام فى الوجود عبّر عن الجمال أكثر.

فالمزروعات والأشجار تنمو طبيعياً فى الغابات والأدغال لكن هى بعينها فى نمو طبيعى أيضاً إذ وجد معها مُنَظِّم يحولها إلى حديقة غاية فى الجمال..

والحديقة أو الجنينة هى تعبير عن جنة الله.

فالرغبة أو الميل فى أى موجود هى من الله، وليست خطأً فى شئ.. إنما إن تركت الرغبة أو الميل بلا منظم تقود إلى الهوى الذى يهوى بالموجود والوجود كله إلى أدنى مستوى بل إلى الجحيم عينه.

لذلك فإن ضوابط السلوك فى الوجود ليست قيود إنما إضافة إلى الوجود ليصير الجميل أجمل والحلو أحلى والحسن أحسن!

لذلك فإن وجود شريعة سلّمها الله للوجود أضافت إلى كل خاضع لها جمالاً فوق جمال ولم تسلبه سوى ما فيه من قبح أو ضعف.

إن الرغبة والميل طاهرين، لأنهما سر من أسرار استمرار الوجود.

فوجود الروح نسمة من الله الروح يعنى أن وجود الرغبة لابد أن تحقق رغبة الله فى وجودى.. ووجود مشيئة لابد لها أن تتلاحم مع مشيئة الله فى حياتى.

إن الرغبة والمشيئة فى خضوعهما لله ينتظمان بما يحقق رسالة الله فى الوجود يجعل الإنسان ينادى دائماً «يارب ماذا تريد منى أن أفعل أو أحقق أو ساعدنى يارب لكى أحقق مشيئتك فى وجودى».

إن التعدى على النظام، أو السلوك بالهوى الشخصى لن يتوقف شئ فى الوجود.. سيستمر الوجود ولو خالف رغبة خالق الوجود.. لأن الخالق أشعل الشعلة (أى وضع نسمة الحياة من روحه) فى الوجود وترك حرية لكل موجود أن يستضئ بنورها وقتما شاء.. لكنه سيعلن عن شئ غير الله.. سيعلن عن فساد الطبيعة البشرية عن تحقيق مقاصد الله فيه.

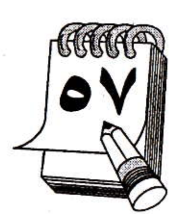
وهذا يجعل الوجود يعيش الغابة التى قانونها السيادة للأقوى.. الذى يظل يسود لا يقود إلى أن لا يجد ما يقود.. لأن فى التسيد افتراس وتدمير لكل شئ.. للموجود وللقيم فى الوجود.

أما القيادة فهى فن تجميع طاقات الوجود لكى تسير فى خطة أو تنفذ رسالة بها يتحقق قصد الله السار فى الوجود كله.. المجد لله فى كل شئ.



اكْشفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ.
غَرِيبٌ أَنَا في الأَرْضِ. لاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ

(مز ١١٩: ١٨)

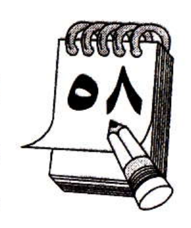


خادمة فى مدارس الأحد احتاجت خدمتها لمبالغ نقدية تنفقها فى الدروس والصور والهدايا اللازمة للخدمة. ورغم أنها موظفة إلا أن هذا لم يسعفها بسداد نصيب الرب من خيراته لها لكى تغطى احتياجات الخدمة.

ففكرت أن تستدين مبلغ خمسون جنيهاً من زميلة لها، وفعلاً استدانت فى مساء اليوم هذا المبلغ. وفى صباح اليوم التالى استدعيت فى عملها لتصرف حوافز متأخرة لها، وكانت المفاجأة أن قيمة الحوافز خمسون جنيهاً.. أخذتها وقدمتها لزميلتها، لتقدم للرب من عطاء الرب فى نفس اليوم من تعب وعرق لها.

هكذا قالت أن الرب صعب عليه أن يبيت عندى سلفة لخدمته احتاجتها وهو أب كريم وملك غنى مقتدر.. إن الله هو الذى ينفق على الكل ويعول الكل فكيف يغفل خدمته.





ما أكثر الأطعمة أمامى.. أريد هذا الطعام، وأشتهى هذا الطبق، فآكل الطعام وأبتلع الطبق.. ثم أطلب هذا الشراب، وأشتهى هذا الحلو.. ولا أمنع نفسى لا من شراب ولا من حلو.

ما أعظم شرى هذا يا إلهى.

لأنى جالس فى وليمة عرسك الإلهية، فى عرس قانا الجليل الذى يملأ العالم كله منذ أن علقت على الصليب عرياناً جوعاناً عطشاناً.. جالس فى هذا العرس أمامك يا ملك الملوك وأنسى حكمة القائل: «إِذَا جَلَسْتَ تَأْكُلُ مَعَ مُتَسَلِّطٍ فَتَأَمَّلْ مَا هُوَ أَمَامَكَ تَأَمُّلاً وَضَعْ سِكِّينًا لِحَنْجَرَتِكَ إِنْ كُنْتَ شَرِهًا» (أم ٢٣ : ١ ، ٢) أنسى هذا وأحرم من نعمة الضبط الإرادى فى قانون لا يرتبط بالصوم كمواسم بل يتعداها إلى كل الأيام.. نعم كم أنا شرير بهذا الشره فى وليمة عرسك العظيم.

كذلك أنا شرير لأنى بهذا لا أتعلم القناعة فيتم فىّ قول الحكيم «لأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ فِي بَطْنِهِ قَنَاعَةً لاَ يَنْجُو بِمُشْتَهَاهُ» (أى ٢٠ : ٢٠) هكذا فعلت بى كثرة تناول الأطعمة واشتهاؤها.. إذ صار جسدى ثقيل ينهك فى أقل عمل، وصارت معدتى سقيمة وأمعائى عليلة.. وكثرة رفضها وانفعالاها هو صراخ من شهوتى وتوسل إلى عقلى لكى يستضئ بحاجة الروح إلى ضبط الجسد فى نسك متزن.. وهكذا امتد شرى إلى جسدى الذى هو جسد المسيح وأمانة ووزنة.

كذلك أنا شرير لأنى أتناول الطعام بشره وشهوة آكل كل ما أمامى حتى

وإن لم يكن جسدى محتاج حاجة فعلية إليه.. فلا يتبقى من وراء وجباتى بقية تصلح لعمل خير أو لاستضافة قارع غير منتظر.. انطبق علىّ القول «ليست من أكله بقية لأجل ذلك لا يدوم خيره» .. ولهذا عرفت معنى «قلة البركة» فى عدم قناعتى فحرمت من عمل الخير ونوال بركة الضيافة التى هى ابنة للمحبة.

وعرفت سبب الأخبار المزعجة والكلام المهيج للغضب الذى ينتظرنى عند أفخر أطعمتى وأشهى موائدى.. عرفت أن الرب من فوق لم يعد يطيق شرهى وعدم انضباطى فأرسل لى فى أدسم أكلاتى غضب يحرمنى لذة اللقمة الهنية والكلمة الشجية.

أعترف لك يارب أنى مذنب بشرهى..

وأناديك الآن أن تعطنى ضابطاً لإرادتى، وصماماً لشهوتى.. أعطنى الآن قانوناً يدوم معى، وتدوم ثماره فىّ.. أن أتناول طعامى بقدر، ودون أن أطلب إعداداً خاصاً أو طبقاً معيناً، وأن أُبقى حتى من الذى أمامى بقية لا تلقى فى الزبالة إنما تقدم على مائدة محتاج أو غريب أو ضيف.

علمنى أن يكون لى الكفاف فى كل شئ.. فأزداد وأنمو فى كل عمل صالح.. أيها الرحيم ارحمنى أنا الشره.

”تأكد تماماً أن العدو يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن“

الأب يوحنا كاسيان

٥٩

اليهود «أوقفوك فى الحكم كحقير» وكانوا معذورين لأنهم لم يعرفوا أنك أنت مخلص العالم.. أما أنا فماذا أحتاج؟ إنى أعرف أنك المخلص بل ومخلصى الشخصى.. ومع ذلك أوقف وصاياك أمام عيناى محتقرة.. لذا فخطيتى أعظم وشرى لا يحتمل.. فكل انكسار فى حياتى لا أرجعه لسلوكى المنحرف وتدبيرى المعوج.. بينما كل انتصار من لدنك أحيا ثماره أرجعه لفطنتى وتدبيرى!

كل وصية أحاول أن أحياها وأعاق أو أعوق عن تنفيذها يساورنى بعدها الشك فى أن وصاياك يمكن أن تُعاش فى هذا الجيل.. بينما وصايا كثيرة أعيشها وأجنى ثمر بركتها لا تكفى أن تطفئ نار الشك الموقدة فى أفكارى تجاه الإنجيل وتطبيقه.

آه يارب.. أشتكى لك نفسى المريضة التى توقفك أيها الطبيب الحقيقى للنفس والجسد والروح من خلال وصاياك تحت الفحص العقلى والشك التطبيقى والانحلال الاتساعى.. أنت قادر، وقد اختبرتك قادر أن تشفى نفسى من مرض الشك فى وصاياك، ووصايا قديسيك المنتصرين والمجاهدين.

درب نفسى على القبول البسيط لوصاياك، والتطبيق البسيط لوصاياك، والحصاد البسيط لثمار وصاياك.. فليس أنجح من البساطة الروحية كدواء لداء عنيد تفشّى واستفحل فىّ هو داء الشك.. وما لا أعرفه من أدويتك الشافية أيضاً لا تمنعها عن ضعفى إلى أن أُشفَى بالتمام.

يا مَن قلت بصدق أنا الرب شافيك.. صدقتك الآن أنك شفيتنى فأعن ضعف تصديقى.



له زميل أتاه من سمع فكر منه وأساء فهمه وأساء إليه فى عفته فجعله لا يتعامل معه إلا كعدو.. إذ كان يمكن للزمالة أن تقترب وتستوضح ربما انتهى الفكر ونجا من الإساءة، لكنه إلتقط الفكر وصاحبه وذهب للرئيس يعرض ما إنتهى إليه من انحلال وفساد.. وكان معه شريك.. والرئيس أخذ الفكر وطرحه فى لحظة مفاجأة أمام كل الزملاء.. وكانت مفاجأة هزت أعماقه.

لم يعرف وقتها من المسئول عن هذه المؤاخذة المقنعة، ولا مدبريها.. لكنه أوضح ببساطة الكلام ما عناه فكره.. وانتهت المفاجأة، بينما نفسه مكسورة وهو يتناول لقمة محبة فى وسط الزملاء.

وظل لا يعرف أن الكبرياء هو الذى جعل هذا مفاجأة.. إلى أن إنحنى فى نفسه وأمام مذبح الله يقول: نعم يارب أنا فىّ هذا الفكر.. وأنا مخطئ إليك.. لكننى بعتاب أقول لك ياإلهى المحب لماذا هذا؟ ومن دبره؟ وهل تسكت وأنت تعلم بطهارة قلبى وسلوكى فى هذا الفكر بالذات؟!

وسكت الرب عليه، لكى تنسحق نفسه بالأكثر.. وقبل أن يكون مكسوراً بين يديه، فهو الذى أشبع بالخبزات القليلة التى قبلت الكسر بين يديه ألوف ألوف وفاض عنها بركة أيضاً.

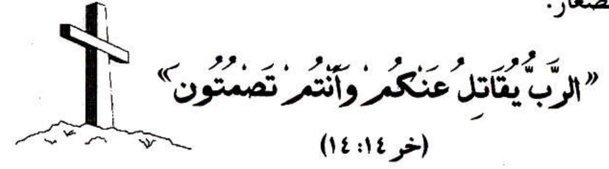
ولم تهون نفسه على الذى بحبه ورفقه يعامله كرضيع، وكشف الزميل وشريكه والمدبر ومن معه.. بل أراد أن يمحو من ذهن الرئيس هذا بحادثة يعلن فيها بما لا تستطيع وسيلة أخرى أن تعلن.. إذ كان الرئيس على موعد سفر

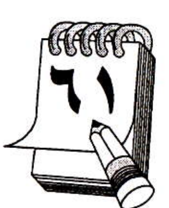
coptic-books.blogspot.com

وطلبه لهذه المأمورية، لكن قلبه المنكسر كان مشغولاً جداً عليه.. واعتذر للرئيس وودعه قائلاً: «الله يحرسك».. وبعد أن إنطلق بسيارته كان قلبه مشغولاً عليه إذ كان يشعر بشعور غريب أن شيئاً سيحدث له.. وظل بجوار التليفون يطلب ليطمئن.. إلى أن رفع الرئيس السماعة ليقول له: «حمدالله على السلامة أنا كنت مشغول جداً عليك».. فقال الرئيس بدهشة: «هل عرفت ما حدث لى.. أول حادث يحدث لسيارتى باعتراض حمار للطريق.. فلم أتمكن من قضاء المأمورية وعدت لتوى».. فقال: «نشكر الله على سلامتك».. وعرف أن الله استخدم عبارة «الله يحرسك» التى نُطِقَ بها من فم ذليل وقلب منكسر لكى يصحح فى ذهن رئيسه ما أفسده عمل إبليس بفكر منحرف وزمالة غير ناضجة.

عرفت يارب أنه عندما تكون أنت المسئول، وعندما نثق فى سياستك وتدابيرك كضابط للكل.. تكون المحامى الأول عنا، والشاهد الصادق الأمين على الأعماق البسيطة النقية.

لقد ندم عن كل مرة دافع فيها عن نفسه، واضطرب فيها لما يلحق سمعته من افتراءات.. ندم جداً ووثق أنك تحارب عنه عندما يقتنع أنه خاطئ، ويترك لك كل التدابير، ولا يتدخل من طرفه إلا بمحاولة رفع الغطاء عن القبر لتبرئ أنت وتهئ أنت وتكمل أنت كل ما يجعل أعمالك موضع ترنم دائم فى أفواه أطفالك الصغار.





يا إلهى أشكرك أنك جعلت لى أبى الكاهن.. فكهنوتك عظيم جداً، حتى ولو تعرض للمحقرة ممن لا يحفظوه.. وسلطانك الحقيقى للغفران الذى ينطق به فم أبى فى جلسة اعتراف أمامك لا يتوقف على طباعه أو ضعفاته الشخصية..

إننى أشعر باقتناع كامل لا يحتاج إلى إثبات عقيدى أو بحث كتابى كلما تعاملت مع سلطانك الكهنوتى الذى تعطيه لبشر..

فهؤلاء البشر قد يسقطوا، لكن سلطانك قائم يُقيم العاثرين والضعفاء الذين أولهم أنا الطارح ضعفى بين يديك وأمام كهنوتك.

لست محتاجاً لشواهد، فها هى حقيقة معاشة لكاهن من كهنة الصعيد قد إرتد عن الإيمان وأنكر المسيح.. وكان لذلك رد فعل عاثراً جداً.. وحدث أن كان وقت الفجر مرَّ عليه القربانى يحمل كيس القربان ذاهباً به للكنيسة، فاستهزأ به قائلاً: «ماذا تحمل ياعم غبريال».. فرد عليه القربانى فى انفعال مر مكتوم: «مالك ومال اللى أنا شايله» فتهكم به الكاهن قائلاً: «حجر شايل حجر».. ومضى القربانى بألم مكتوم للبيعة ليفاجئ عند تقديم الحمل من كيس القربان أن كل القربان تحول إلى حجر.. فروى ما تحدث به مع الكاهن المرتد الناكر للإيمان، فوبخه الكاهن القديس وقال له خذ الكيس كله وارجع إليه ثانية وقل له: «أخطيت حاللنى».. إنه تنكر للمسيح، لكن المسيح لم يتنكر لكهنوته!

ورجع القربانى بألم أشد للكاهن المرتد الذى لما رآه استهزأ به أكثر.. إلا أن

القرابنى قاطعه وقال له: «قلت لى فى الفجر أنى حجر شايل حجر.. فصار كيس القربان كله حجارة.. أخطيت حاللنى».. فاستهزأ الكاهن به أكثر وظنه غير صادق وقال له بتهكم: «طب يا سيدى الله يحالك أهه».. فارتعد الكاهن لما رأى أن الحجر أمام عينيه بكلمة كهنوتية من كهنوت ساقط يرجع إلى أصله كخبز.. وترك مكانه ورجع مع القرابنى يخبط رأسه على المذبح ويبكى بصراخ: «كهنوت عظيم مع أنى حطيت به فى الوحل!».

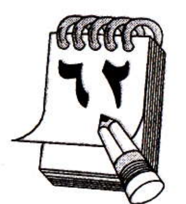
وتاب وكان لتوبته فعل أعظم فى تثبيت سلطان الكهنوت المقدس مما أحدثته عثرته!

هكذا أومن بسلطان كهنوتك فى الاعتراف، بلا مراجعة فى اللاهوت ولا تفلسف فى الإثبات.

أنت بسلطانك لا يمكن أن تترك ملتجأ بإيمان إليك.. لقد قلت: «مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ» (مت ١٠ : ٤١) وها أنا يارب موقن أن تمنحنى أجرة غفران بقبول سلطان الغفران فى حاملى الغفران من بنى البشر المختارين لخدمة كهنوتك العظيم.

ياإلهى أومن، شددنى وشدد كل محتاج مثلى. أسمعنى دوماً «الله يحالك» التى أومن أنها تحول قلبى الحجر القاسى إلى توبة وذبيحة حية.





يارب توبنى عن سلطان العادة، حتى ولو كانت روحية.. واجعل لى كل عمل روحى أعمله لا أهتم لا باسمه ولا بمظهره بل أدقق لكى يكون معمولاً بروح المحبة الأولى التى أذقتنى فيها أبوتك الساهرة ورعايتك الفائقة.. هذه المحبة التى كان يظنها ولازالوا يظنونها حمقاء لأنها لا تفكر إلا فى المحبوب ومحاولة إرضائه.

نعم يارب فالأنبا رويس لم يكن حتى شماساً لكن البطاركة تقدم له الاحترام والميطانية والتكريم، والأنبا بولا لم يكن حتى شماساً لكن المؤمنين عبر ثمان عشر قرناً من الزمان يتكبدون مشقة السفر لينالوا بركة من تراب الموضع الذى يضم رفاته الطاهرة.

فالعمل الروحى الذى لأجلك يا الله لا يتطلب اسماً أو مظهراً أو مكاناً إنما قلباً محباً المحبة الأولى المتبادلة بين عريس وعروسه وبين حبيب وحبيبه.

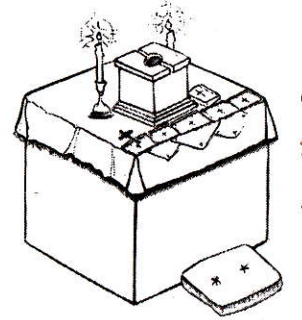
نعم يارب إن سلطان العادة، حتى الروحية، قد جرفنى بعيداً.. وعندما لم أستطع الرجوع إليك رأيت محبتك ترغمنى على الرجوع.

فكيف أنا الذى إعتدت الوقوف قدامك فى القداسات كل يوم أظل حتى هذا اليوم لا أستلم ذبيحة ولا أقدم لك قرباناً؟! كان من المستحيلات أن أترك الموضع الذى اخترتنى لرعاية أولادك فيه لأى سبب، وقد كان خروجى لنهضة أو عمل روحى فى مدينة أخرى بل فى كنيسة أخرى بنفس المدينة نادر الحدوث جداً.. لكنى أرى نفسى يوم جمعة وفى الشتاء فى الإسكندرية أتمشى فى شوارعها؟!!

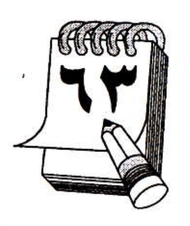
إنها كلها أعمال محبتك التى تعطينى أن أتوب عن قربان المكان، وعن قطيع المكان.. لكى يكون الارتباط بذبيحة العقل والقلب والمخدع، وبخراف القطيع أينما وجدوا. فالبخور يقدم لاسمك فى كل مكان لأنك إله كل مكان، والرعاية حب يقدم لك فى النفوس أينما طلبت لأنك أسقف نفوسنا وراعيها الحقيقى. إن كنت لا أملك نفسى فكيف أسقط فى عادة المكان والارتباط بالإنسان؟! سامحنى يارب لقد كنت أفكر بأسلوب وأحيا بأسلوب أراك تغيرهما لكى تخلصنى من سلطان العادة التى تسربت إليهما.

لقد كنت اسمعك تنادينى دائماً: «عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى» (رؤ ٢ : ٤).. لذا أشكرك يا إلهى المحب المتوب لى عن رباطات العادة حتى المقدسة وتعطينى مذاقة القربان المقدم لك بالذبيحة العقلية حتى فى المواضع المحتقرة فى أعين الناس، مع مذاقة الرعاية المتجولة فى الأرض من شمالها إلى جنوبها!!

وساعدنى لكى لا أقع تحت سلطان العادة مهما فرضت علىّ الضرورة التعود.



أعطنى مع الصبح الباكر لكل يوم أن أطلبك من فوق المذبح زاداً لغربتى، ودواءاً لأسقامى، ونمواً لقامتى، وثباتاً لطريقى.



كيف يقول إله الكل، ورب الجميع، ومسيح العالم كله أن «لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ»؟ (مت ٢٤ : ٢٢).

هل هناك مختارين؟ ومادام هناك مختارين، ومعينين.. فمن يعرفنّى أننى من المختارين؟

هذه الأسئلة وغيرها بادرنى بها إنسان باحث قادنى إلى حديث طويل بدأته عما أرشدتنى له نعمة الله من خلال كلام الإنجيل.

إذ أن الله الذى أعبده، لا يمكن أن يكون لجزء من مخلوقاته، أو أن يكون بعضاً من مخلوقاته لها ميزة عن غيرها.

إنه الإله الذى «أَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ» (مت ٢٢ : ٣).

إنه يقدم دعوة عامة كأب عام لكل مخلوقاته.. دعوة عامة لا إلى مأتم أو إلى مشقة إنما إلى «عرس» يقول فيه للجميع «هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ» (مت ٢٢ : ٤).

فالدعوة الموجهة من الله: دعوة عامة، ودعوة سارة، ودعوة مجهزة.. يبقى من يتلقى الدعوة من مخلوقات الله.

فالحيوانات والمخلوقات غير العاقلة وغير الناطقة قبلت الدعوة، رغم أن ليس لها إرادة.. أما الإنسان الذى أعطاه الله أمام دعوته ملء الحرية للقبول أو الرفض.. فهو الذى يقف مواقف متباينة من دعوة الله.

فمن الناس من لا يريد الإتيان لله... لا يريد بحريته، ولا يُرغم بأى نوع من القيود... هل من يرفض دعوة الله له تسمية أخرى غير أنه رافض أو غير

مختار؟!! وهناك من الناس من لا يرفض، إنما يتهاون فى قبول الدعوة ويؤجل لأسباب أرضية تافهة فينقضى عمره على الأرض قبل أن تكون دعوة الله محل اختياره أو اهتمامه.. فهل من يتهاون فى دعوة الله حتى تبتلعه دوامات الشهوات وخداع الأرضيات له تسمية أخرى غير أنه غير مختار؟!

إن الاختيار هنا هو اختيار الإنسان لله، وليس الله للإنسان.

لأن مجرد إذن الله بوجود جنين فى بطن أمه ويمنح له منحة الوجود فى الحياة والأرض هو اختيار من الله مسبق.. لكن الذى يعطى هذا الاختيار يعطى الحرية والإرادة الكاملة لاختياره.

فمن يختار الله، يختار الملجأ، يختار الملجأ المريح وسط تقلبات هذا العالم الفسيح.. هذا هو الذى يُسمَى «مختار» لأنه بملء إرادته وحريته يختار دعوة الله ليقبلها وخيرات الله ليصونها وكلام الله ليطيعه ويعليه.. هو الذى يختار صدق الله وسط بِرْكَة الكذب البشرى، ويختار طُهْرَ الله وسط محيط من الدنس الحيوانى، ويختار مختارى الله وسط فساد الصداقات النفعية، ويختار دفء السخاء من عطايا الله وسط ثلوج الشح الإنسانى، ويختار الاستيطان عند الله مهما طال به زمان الغربة على الأرض.

هذا هو الاختيار المبنى على قبول الدعوة الإلهية قبولاً إرادياً بحتاً.

فقال لى محدثى: وما رأيك فى اختيار الله لبعض الناس أن يكونوا رسلاً أو أنبياء أو كهنة أو رؤساء كهنة أو قادة؟!!

قلت: هو نفس رأيى فى اختياره تعالى للرأس أن تكون قائدة لجسدك أنت

الإنسان.. فهذا الاختيار الإلهى لبعض من عبيده هو أنهم مجهزون بحكم المواهب والتربية التى يتلقونها والاستعداد والتكيف الذى يقدمونه لأن يقوموا بأدوار محددة فى قيادة الناس أو توجيه البشر نحو الصلاح.

فليس منطقياً ولا معقولاً أن يصبح كل جسدك رأساً وإلا فكيف تأكل وتهضم وتخرج؟! وكيف تتحرك وتعمل وتثرى؟!! إن الله كما يجهز الرأس فى الجسد بإمكانات خاصة لتكون قادرة على قيادة الجسد الإنسانى نحو العمل المناط بها هكذا يكون اختياره الإلهى لبعض من الناس أن يؤدوا أدواراً خاصة لأعمال خاصة، مَن كان منهم فيها أميناً أُعطِىَ أكثر ونال مكافأة، ومَن كان منهم غير أمين يُؤخَذ منه ويُحاسَب عما قصّر فيه.

لهذا كان هناك مفهوم للدعوة والاختيار:

١ ـ دعوة عامة واختيار عام يقود إلى تمجيد عام لله.. ودعوة خاصة واختيار خاص يقود إلى أمانة يسلمها الله لمن يشاء.

٢ ـ دعوة عامة واختيار عام يقود كل من يقبلها باختياره إلى «كهنوت عام وملك عام» «وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لله أَبِيهِ» (رؤ ١ : ٦).

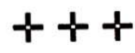
ودعوة خاصة واختيار خاص يقود كل من يقبلها باختياره وإلزام الله له إلى تكليف محدد بعمل محدد «وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلاً» (لو ٦ : ١٣).. «وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً» (مر ٦ : ٧).. «وَقَالَ لَهُمُ اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا» (مر ١٦ : ١٥).

هذا هو الكهنوت المسيحى العام لكل من يؤمن بدعوته ويقبلها ويفتح قلبه لغسل دمه وتبرير فداءه المجانى.. وهذا كله اختيار من الإنسان وليس من الله الذى قدمه للجميع.

كما أن ذاك هو الكهنوت المسيحى الخاص لبعض من الذين يقبلون دعوته «يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي» (مت ٢١ : ٢٨) وبملء اختيارهم وإرادتهم يوافقون أن يكونوا شهوداً وشهادة وشهداء لأجل الله الذى أحبهم ودعاهم.

فى كلا الأمرين.. دعوة من الله يقابلها اختيار من الإنسان لله تعالى.. من يختار الله يُسمى «مختار».. ولأجل هذا المختار وكل رفقاء اختياره يقابلهم الله بالمعزة لديه فى حياتهم وفى مماتهم.. «وَالَّذِينَ يَتَّقُونَكَ يَكُونُونَ أَعِزَّةً عِنْدَكَ» (يهوديت ١٦ : ١٩) «عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ» (مز ١١٦ : ١٥) لأجلهم يقول «لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَصَّرَ الأَيَّامَ» الشريرة على الجيل بأكمله (مر ١٣ : ٢٠).

بعد هذا الحديث، انحنينا سوياً نصلى.. نشكرك يارب أنك دعوتنا لهذه المناقشة وبإرادتنا قَبِلْنَا الخوض فيها معتمدين على إلهام واستنارة من لديك لعقولنا البشرية القاصرة.. فأكرم يارب عقولنا بقبول دعوتك وهدوء الفكر وسكون الخاطر من حروب الأسئلة الكثيرة التى يفرزها العقل فى غربة العالم.. آمين.



كم آذيت شعورك ياربى المحبوب.. لم أكن على دراية بما تسببه لك إهاناتى أمام هداياك العظيمة غير المُعبَّر عنها إلى أن أعطيت ابنى الذى أحببته وعلّمته وزوجته ووضعت قدميه على طريقك هدية لأنه محبوب فى قلبى.. فيقول لى إننى إشتريته بالهدايا وإننى لا أصلح أن أكون له أباً.. كم جُرِحت، وكم تألمت، وكم انحنيت علىّ نفسى.

تذكرتك يا إلهى وأنت تمنحنى حلة البنوية بدمك الغالى الثمين، ونقاوة الحياة الجديدة بغسل الميلاد الثانى فى المعمودية المقدسة، والتطعيم فى شجرة الحياة بالتناول المقدس فى شركة بيعتك الطاهرة.. وبعد هذا كله وقبله إنى معروف لديك قبل إنشاء العالم وقبل أن أصوَّر فى بطن أمى أو يكون لى اسماً وسط الناس.. تذكرتك يا إلهى الحبيب كم جرحت وتألمت وانحنيت وأنا آخذ اسمك الطاهر علىّ وأبوتك لى ثم أتنكر لك بالقلق على مصير، أو الإهتمام بتوافه. أو التعلق بعواطف بشرية، أو السعى وراء موجودات أرضية، أو التحايل البشرى لتحقيق شهواتى.. تذكرتك ياإلهى الحبيب وناديتك سامحنى.. فما فعله ابنى معى كان مجرد تذكرة دائمة لى بفعلى المزرى معك ياأب الخليقة كلها.. فأعطنى الثبات فى أبوتك بجهاد، وأعطنى الشكر والتذكر بالجميل لهداياك التى هى جديدة كل صباح، وأعطنى الفهم لكى لا أسئ لليد التى تحملنى للآن. لست محتاجاً إلى صلاحى، لكنى أنا الذى أناديك أظهر صلاحك فىّ يا أب ليس فى طبعك التنكر المخزى الذى لبنوتى الضالة.

●●●

٦٥

أسير فى الشارع الكنسى المعاصر، فأرى معاول الهدم تقترب بلا مبرر روحى من قمم حقيقية فى الجوهر والعطاء.. وتتفاوت قوة تأثير تلك المعاول على نوعيتها.. فالبصاق لا يلصق بالقمم بل وسريعاً ما ينعدم وجوده، أما تفتيت الأسوار وإزاحة الأحجار المتلاصقة فهى تبدأ من أدوات حادة تحملها أيادى كارهة للبناء أو مأجورة لتنفيذ رغبات أعداء... إلى الديناميت الخبيث الذى يدفن بأيادى خائنة تبدو فى إيقاعها الحركى على الأقل عادية، ومن على بُعد وبالتدبير المحكم للهدم تنفذ إرادتها فى هدم القمم من القديسين.

يارب.. قلبى ينزف دماً، وعيناى لا تكف عن البكاء، وركبتاى لا يقويان إلا على السجود أمامك، ورأسى فى التراب لا أقوى رفعها أمام جلالك الأقدس وأنا أطرح هذا الواقع المعاصر من أفكارى بين يديك.

ليس لمصلحة مجدك يارب هدم القمم فى القديسين المجاهدين بيننا، إنما هو بالتأكيد فى مصلحة الشيطان ومملكته.. لذلك يارب يا من بيدك السلطان كل السلطان اضبط بذراعك القوية ويدك القادرة على كل شئ كل محاولات هدم القمم المجاهدة وسط شعبك.

إننى منكسر جداً لأجل ذلك يارب..

فالقمم فى العلم يشككون فى إخلاصها، والقمم فى التسبيح الرائع لمجدك يشككون فى طهرها، والقمم فى التدبير والإدارة يشاع عنها البخل والتقتير، والقمم فى الرعاية تجرى محاولات تحجيمها، والقمم فى الوعظ المؤثر تطعن فى

صدقها، والقمم فى التأليف والكتابة يساء إلى استقامة إيمانها.

والقمم فى الأبوة والعطاء ترمى إلى مهانة الأقوال والأفعال.

والقمم فى الحفاظ على النظام والطقس تطعن بالحرفية والجدلية.

يارب احرس القمم فى كنيستى المجاهدة، فإننى محظوظ بجيل أتلامس فيه مع عملك الإلهى فى قديسين حقيقيين قدموا ويقدموا للآن كل ما أفادنى ويفيدنى فى خلاص نفسى وقرّب الدموع النادمة والتوبة الجادة من جهادى وجهاد كل المبتدئين مثلى.

ساعدنى يارب لكى بمقدار ما تمنحنى نعمتك مؤازرة لأكون أميناً فى حراسة إيمان مسلّم من القديسين المنتصرين أن أكون أميناً أيضاً فى حراسة ثمر فعل روحك المعزى فى القديسين المجاهدين وتسليم الكل للأجيال الآتية من بعدى بكل الوفاء والحب والنقاوة.

إننى أتوسل إليك أن تعطينى بصيرة لأختبر قولك الإلهى «فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ وَلاَ نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ لأَجْلِ الْبُنْيَانِ. لأَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ. لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ. وَلْيُعْطِكُمْ إِلَهُ الصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَاماً وَاحِداً فِيمَا بَيْنَكُمْ بِحَسَبِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ. لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللهِ» (رو ١٥ : ١ ـ ٧).

coptic-books.blogspot.com

فمن محاولة إرضاء كل واحد للخير بهدف البنيان، إلى جهاد احتمال التعيير الكاذب بالصبر والعزاء الإلهيين بما هو مكتوب فى الكتب المقدسة، إلى مثابرة الاهتمام الواحد بالقلب الواحد والفم الواحد.. الذى يبدأ بقبول كل واحد للآخر لأجل المسيح إلهنا.

بمثل هذا التوجيه الرسولى أسند شوقى إلى حراسة قمم القديسين المجاهدين من محاولات هدم متكررة ومؤسفة.

أرجو يارب أن تُذَكِّرنى وتُذَكِّر كل إنسان بالتكلفة الغالية التى دفعتها الكنيسة ككل فى تكوين قمة من أولادها المجاهدين.. كم من حب، وكم من دموع، وكم من مال وجهد، وكم من عطاء أبوة وتلمذة قادت إلى تكوين هذه القمم.. إن ثمناً باهظاً دُفع أولاً هو دم المسيح، ثم جهاداً باهظاً دُفع ثانياً هو مخاض الكنيسة الولودة.. من يتحمل مسئولية هدم هذا أو تبديد ذلك؟!

كما تحرس كأس دم المسيح فى يد الكاهن الأرثوذكسى فى الليتورجيا المقدسة احفظ يارب بيدك الإلهية كل القمم من قديسيك المجاهدين فى جيلنا المعاصر... وامسح يارب عرق هؤلاء المتصبب من عناء الجهاد، واسكب من زيت وخمر حبك على جراحات أصابتهم من سهام شريرة مسمومة ملتهبة ناراً.. وأضرم أشواقهم للأبدية برجاء لا يخيب يحفزهم لعطاءٍ أكبر مهما كان نور القلوب المستنيرة بالحب يخبو من أمام عيونهم.

يارب... باركنى بصلاح وقداسة كل عبيدك القمم المجاهدين فى الكنيسة المعاصرة.

coptic-books.blogspot.com





إننى لم أبدأ التوبة بعد،
لكننى أجاهد لعلى أُفرّح قلب الرب المحب
وربوات قديسيه فى السماء.
إنما هذه اليوميات هى تسجيل
للتلاقى اليومى مع جموع التائبين
فى كنيسة المسيح.
لعل الرب ينظر إلى ضعفى بصلواتهم،
وصلواتك يا عزيزى القارئ